كل من مصر وسورية والعراق تبدو وشيكة الحدوث في نيسان (ابريل) من عام ١٩٦٣ على أثر الانقلاب السوري على الانفصال والانقلاب العراقي على عبد الكريم قاسم ، وبين درك من دركات التراجع الوحدوي التقدمي الذي نعيشه اليوم والمتمثل في امكانية زوال وطن عربي من الخريطة السياسية (لبنان) وتحوله الى دويلتين طائفيتين ، اذا امتدت الأزمة الى منتهاها ، لأدركنا بوضوح شديد أن المشاريع الاستعمارية المجنونة لتفتيت الوطن العربي اكثر مما هو مفتت الآن لم تزل موجودة في ملفات وزارات خارجية الدول الاستعمارية ، وان بقاء هذه الملفات تحت ستار الغبار أو احتلالها موائد عمل ساسة هذه الدول مسألة متعلقة بنا نحن العرب ، وبنوعية المناخ السياسي الذي نفرضه على منطقتنا ، فهل كان لاحد ان يتخيل مجرد الحديث عن تقسيم لبنان عندما كان مشروع الوحدة المصرية ــ السورية ــ العراقية وشيك التنفيذ عام ١٩٦٣ ؟

★★★

لقدتميز عام ١٩٧٥ والعام الذي سبقه بحدث رئيسي على الصعيد العربي هو خروج مصر من منطقة قبول التحدي ودفع كل الامكانات المصرية والعربية الى هذه المنطقة ، ودخولها (مصر) الى منطقة التفاهم مع الاستعمار الاميركي لحل مشاكلنا الكبرى « ما دامت في يده الاوراق الرئيسية للعبة » ...

الأمر البديهي الذي يغيب عن ذهن الساسة الذين يحملون مثل هذا المنطق هو ان للاستعمار هو الآخر مشاكله التي يريد حلها بما يلائم مصالحه ، وان الاستعمار ينتظر دائما الفرص السانحة لتأمين الحد الاقصى من مصالحه ، وهذه المصالح الاستعمارية هي العامل الرئيسي الذي يحدد طبيعة وحجم اي حركة يمكن ان يقوم بها مسؤول اميركي .

صحيح أن في كل نظام سياسي تيارات متعددة ، ولكن من السذاجة المراهنة على أن تنازلنا عن مقارعة التحدي المفروض علينا ، سيقوي شوكة الساسة المعتدلين في المعسكر الاستعماري . ان تيارات الاعتدال في الانظمة الاستعمارية لا تظهر على السطح عادة ولا تنتقل الى مواقع النفوذ في بلادها الا كلما ارتفعت موجات نضال الشعوب ضد المشاريع الاستعمارية هنا وهناك ، أما التراخي والتراجع امام التحدي الاستعماري ، فلا يصاحبه عادة الا بروز الاجنحة المتصلبة في السياسات الاستعمارية ، وسيادة منطقها الذي يقول ان نضالات الشعوب الصغيرة لا داعي لأخذها بعين الاعتبار ، لأنها أضعف من أن تقف في وجه اي مشروع استعماري لدولة كبرى .

لقد امتلأت كل أحاديث المبادرات العربية ازاء الأزمة اللبنانية بالكلام عن وجود مؤامرات خارجية على لبنان ، والحقيقة أن هذه المؤامرات لم تتوقف يوما عن ان تكون موجودة ، لا بالنسبة للبنان ولا بالنسبة لأي قطر عربي ، ولكن تبقى الظروف التي تتيح نحن للمؤامرات أن تمر من خلالها أو لا تتيح .

ومنذ أن خرجت مصر من ساحة التحدي الاستعماري المطروح على الأمة العربية ، ومنذ أن تخلى حكام مصر الحاليون عن الرهان على الايجابيات العربية ، وانتقلوا الى الرهان على السلبيات العربية ، بدأت كل هذه السلبيات وكل نقاط الضعف في الوطن العربي تنتقل الى السطح والى دائرة الضوء ، وخرجت من جحورها كل ملفات